

صعوبات الداعي تواجها في دعوته في ضوء التفسير الوسيط للقرآن الكريم
Difficulties of dawah Faced by preacher in the light of Tafsir al-
Vasit li 'I-Quran al-Kareem by Muhammad Sayeed al-Tantawi
Dr. Abdullah

PhD from Faculty of Usuluddin, Department of dawah and Islamic culture
International Islamic university Islamabad and visiting faculty member Bahria
University Islamabad Campus

Dr. Wahab Gul

Lecturer at international Islamic University Islamabad

Umar Hayat

PhD Scholar, Department of Hadith, Faculty Usuluddin, International
Islamic University Islamabad

Abstract

Dr. Sayed Muhammad al-Tantawi one of the prominent scholars. He was late Sheikh of Al-Azhar 1996 AD to 2010 AD .He was known for his moderate Islamic thought, which combine tradition and modernity. He played a prominent role in reforming Muslim society by mitigating intolerance hatred and ignorance. He was a great preacher and authors. He authored " Tafsir al-Vasit li 'I –Quran al-Karim, which is modern Tafsir that contains specific role for proper methodology of dawah .and in this paper the researcher tries to uncover the Difficulties of dawah which are faced by preacher toward other preacher in the light ofTafsir of Dr Tantawi.

Key Words: *Difficulties of Dawah faced by preacher, in the Tafsir al-asit li 'I –Quran al-Karim, Dr. Sayed Muhammad al-Tantawi*

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، الداعي إلى الهدى والحق والصراط المستقيم، وعلى آله ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين. أما بعد : وسيقوم هذا البحث - بإذن الله-صعوبات الداعي من خلال التفسير الوسيط للقرآن الكريم .وقد جعلتُ هذا البحث في مبحثين وخاتمة. أما المبحث الأول فيتناول الأمور التالية :

الأمر الأول : التعارف للشيخ محمد سيد طنطاوي-رحمه الله-، والتعريف بتفسيره "التفسير الوسيط للقرآن الكريم"

الأمر الثاني : الصعوبة لغة وإصطلاحاً.

المبحث الثاني : صعوبات الداعي في التفسير الوسيط للقرآن الكريم.

المبحث الأول: فيتناول الأمور التالية :

الأمر الأول : التعارف للشيخ محمد سيد طنطاوي-رحمه الله-، والتعريف بتفسيره "التفسير الوسيط للقرآن الكريم"

التعارف للشيخ محمد سيد طنطاوي.

اسمه : هو "محمد سيد طنطاوي" الراحل

نشأته ومسيرته العلمية:

وُلد الشيخ في 28 أكتوبر 1928 في قرية سليم الشرقية بمركز طما، محافظة سوهاج. بدأ تعليمه بحفظ القرآن الكريم في قريته، ثم التحق بمعهد الإسكندرية الديني عام 1944. بعد انتهاء دراسته الثانوية، دخل كلية أصول الدين وتخرج منها عام 1958. حصل على درجة الدكتوراه في التفسير والحديث عام 1966، وعُيّن مدرسًا في كلية أصول الدين عام 1968، ثم تولى عمادة الكلية في أسيوط عام 1976، وعمادة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين عام 1985. شغل منصب مفتي الجمهورية عام 1986، وتولى مشيخة الأزهر عام 1996⁽¹⁾

مؤلفاته:

لمحمد سيد طنطاوي عدة مؤلفات ومن أهمها كما يلي :

1. التفسير الوسيط للقرآن الكريم - خمسة عشرة مجلدًا
2. بنو إسرائيل في القرآن والسنة (وهو رسالته في الدكتوراة)
3. القصة في القرآن الكريم - مجلدان
4. أدب الحوار في الإسلام
5. الاجتهاد في الأحكام الشرعية
6. معاملات البنوك وأحكامها الشرعية
7. جوامع الدعاء من القرآن والسنة
8. أحكام الحج والعمرة
9. الصوم المقبول
10. الحكم الشرعي في أحداث الخليج
11. كلمة عن تنظيم الأسرة
12. السرايا الحربية في العهد النبوي
13. فتاوي شرعية
14. المرأة في الإسلام
15. عشرون سؤالاً وجواباً
16. حديث القرآن عن العواطف الإنسانية
17. الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام
18. الفقه الميسر
19. تحديد المفاهيم
20. خطب الجمعة .⁽²⁾

ثناء العلماء عليه :

وقد أثنى على الدكتور طنطاوي عدد كبير من علماء الأزهر وغيرهم -ومنهم الدكتور علي جمعة، الذي اعتبر وفاته خسارة كبيرة للأمة الإسلامية. ومنهم الدكتور طه أبو كريثة الذي أشار إلى خدمته للقرآن والسنة. ومنهم الدكتور أحمد الطيب الذي وصفه بأنه من أبرز علماء المسلمين في التفسير. ومنهم الشيخ يوسف البدرى الذي أكد أن الشيخ ترك خلفه مكتبة غنية بالمؤلفات.⁽³⁾

وفاته :

توفي الشيخ في 10 مارس 2010 في الرياض بعد أزمة قلبية، وتمت الصلاة عليه في المسجد النبوي ودفن في مقبرة البقيع".⁽⁴⁾

التعريف بتفسيره " التفسير الوسيط للقرآن الكريم.

أنزل الله القرآن الكريم لتحقيق مقاصد عظيمة تهدف إلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإصلاح حياتهم الدينية والدنيوية. وكان الدكتور محمد سيد طنطاوي -رحمه الله- في تفسيره "التفسير الوسيط للقرآن الكريم" يحرص على توضيح هذه المقاصد والغايات، حيث كان يتعمق في تدبر آيات القرآن الكريم، ويشرح معانيها ويوضح مقاصدها. كما كان يهتم بأساليب الدعوة والتوجيه، ويوضح صفات الداعي والمدعو، ويتناول موضوعات الدعوة المختلفة مع مراعاة الشروط المعتمدة للتفسير. وسنتناول الحديث عن تفسيره "التفسير الوسيط للقرآن الكريم" عن أمور وهي كالتالي:

إسم كتاب لمحمد سيد طنطاوي في التفسير ، مدة التأليف ، نسبة التفسير الوسيط للقرآن الكريم إليه ، منهج طنطاوي -رحمه الله- في التفسير الوسيط للقرآن الكريم .

اسم كتاب لمحمد سيد طنطاوي في التفسير .

اختار الشيخ "التفسير الوسيط للقرآن الكريم" ليعكس منهجه الوسط في التفسير، بعيداً عن التعصب لمذهب أو فكرة معينة⁽⁵⁾ وهذا الاسم هو الشهير لدى العلماء ، وقد طبع هذا الاسم طبعاته المداوله ، وأشهرها طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة ، عام 1997م ، وهي النسخة التي إعتدها الباحث.

مدة التأليف .

استغرق تأليف هذا التفسير خمسة عشر عاماً، حيث أشار الشيخ إلى ذلك بعد الانتهاء من الكتابة بقوله: "فإلى هنا- بحمد الله وفضله وكرمه وتوفيقه- أكون قد انتهيت من هذا التفسير الوسيط للقرآن الكريم، بعد أن قضيت في كتابته زهاء خمسة عشر عاماً"⁽⁶⁾.

نسبة التفسير الوسيط للقرآن الكريم إلى المصنف

يدل على نسبة كتاب (التفسير الوسيط للقرآن الكريم) محمد سيد طنطاوي -رحمه الله- أمور عديدة ، ومنها :

1- تصريح عدد من المؤلفين ، الذين ألفوا عن طنطاوي -رحمه الله- منهم الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر، يقول: " كان الدكتور الطنطاوي من أكبر علماء المسلمين على الإطلاق في تفسير القرآن الكريم وكان ثاني اثنين ممن تصدوا لتفسير القرآن كاملاً"⁽⁷⁾.

2- نص من قبل محمد سيد طنطاوي -رحمه الله- بعد فراغ تفسير كل سورة بقوله : "كتبه الراجي عفوره د محمد سيد الطنطاوي"⁽⁸⁾.

منهج طنطاوي -رحمه الله- في تفسيره عموماً.

بدأ بتوضيح الألفاظ القرآنية لغوياً، ثم يشرح معانيها، ويذكر أسباب النزول إذا وُجدت، مع التركيز على جوانب البلاغة والبيان، مستنداً إلى نصوص أخرى وأحاديث نبوية. باختصار، يعتبر "التفسير الوسيط" جهداً علمياً متميزاً يهدف إلى تقديم تفسير شامل وموثوق للقرآن الكريم.⁽⁹⁾

المبحث الثاني: صعوبات الداعي تواجهها في دعوته في ضوء التفسير الوسيط للقرآن الكريم.

التمهيد :

إن من المعلوم أنَّ الدعوة إلى الله هي وظيفة رسل الله جميعاً، ومن أجلها بعثهم الله تعالى إلى الناس، فكلهم بلا استثناء دعوا أقوامهم ومن أرسلوا إليهم إلى الإيمان بالله، وإفراده بالعبادة على النحو الذي شرعه لهم ، وهؤلاء الرسل قد واجهوا بعض الصعوبات في دعوتهم ، كما واجه النبي -صلى الله- الكثير من الصعوبات عندما أعلن الدعوة إلى الله جهرياً فرفض قريش دعوته وقال له ساحر ومجنون ، كما قال -تعالى- في كتابه المجيد (يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ)⁽¹⁰⁾ ولكنه أصر على الدعوة ونشر كلمة الحق بين الناس ، هكذا أنَّ الله تعالى أكرم هذه الأمة الإسلامية وشرَّفها أن أشركها مع رسله الكرام في وظيفة الدعوة إلى الله، والدعاة إلى الله لهذه الأمة الإسلامية أيضاً يواجهوا صعوبات عديدة في دعوتهم ، وهم مضطرون للعيش في مثل هذه البيئة .

وفيه هذ المبحث نذكر بعض الصعوبات الدعوية التي تتعلق بالداعية من خلال الإستقراء والتتبع التي ذكرها الدكتور محمد سيد طنطاوي -رحمه الله- في التفسير الوسيط للقرآن الكريم . قبل الذكر هذه الصعوبات الدعوية من خلال التفسير الوسيط أرى مناسباً أن أقدم مفهوم الصوبة كما يلي :

مفهوم الصعوبة : "يُقَالُ: صَعُبَ يَصْعُبُ صُعُوبَةً، وَيُقَالُ أَصْعَبْتُ الْأَمْرَ: يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ السُّهُولَةِ"⁽¹¹⁾

الصعوبات التي تواجهها الداعية في دعوته في التفسير الوسيط للقرآن الكريم .

وهناك بعض الصعوبات قد أشار إليها التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، حيث ينبغي للداعية أن يأخذ كل أسباب الوقاية والحماية عنها ، وكذلك ينبغي أن تكون الداعية دقيقة غاية الدقة واعية تمام الوعي مهتم كل الإهتمام حتى تكون دعوته وفق منهج سليمة فلا إفراط ولا تفريط تحقيقاً لتوازن في الدعوة الإسلامية.

هناك بعض الصعوبات التي تواجه الداعية في دعوته بعض منها كما يلي :

1- عدم تعاون الدعاة فيما بينهم

وينبغي للدعاة أن يتعاونوا فيما بينهم، والواجب عليهم أن يكونوا يدًا واحدة، يتساعدون، ويتعاونون، ويتشاورون فيما بينهم، وينطلقون انطلاقاً واحداً، لأن كل واحد منهم يدعون إلى الخير والطاعات، حتى يرشد بعضهم بعضاً فيما يخطئ فيه الآخر من علم أو وسيلة دعوة أو ما أشبه ذلك، فقد أوصي طنطاوي -رحمه الله - الدعاة إلى هذا الأمر عند قوله تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)⁽¹²⁾

فقال في تفسيره: "وتعاونوا- أيها المؤمنون- على كل ما هو خير وبر وطاعة لله- تعالى-، ولا تتعاونوا على ارتكاب الآثام ولا على الاعتداء على حدوده، فإن التعاون على الطاعات والخيرات يؤدي إلى السعادة، أما التعاون على ما يغضب الله- تعالى- فيؤدي إلى الشقاء"⁽¹³⁾ .

ويقول محمد بن صالح بن محمد العثيمين "ومن آداب الدعاة التي يجب أن يكونوا عليها هو تعاونهم، تعاونهم فيما بينهم، لا يكن هم الواحد منهم أن يقبل قوله ويُقدم على غيره، بل يكن هم الداعية أن

تُقبل الدعوة، سواء صدرت منه أو صدرت من غيره، ما دُمْتَ تريد أن تَعْلُو كلمة الله، فلا يَهْمُنكَ أن تكون من قِبَلِكَ أو من قِبَلِ غَيْرِكَ⁽¹⁴⁾.

وما يستخلص من دروس وفقه دعوي من كلام الطنطاوي ما يلي:

ويظهر من كلام طنطاوي -رحمه الله- أن الآية الكريمة قد أمرت المؤمنين بأن يتعاونوا على فعل الخير الذي ينفعهم وينفع غيرهم من الناس وعلى ما يوصلهم إلى طاعته -سبحانه- وحسن مثوبته، ولا يتعاونوا على الأفعال التي يَأْثُمُ فاعلها، وعلى مجاوزة حدود الله بالاعتداء على غيرهم. ثم حذرهم في نهايتها من العقاب الشديد.

2- الدعاة والافتتان بالجاه والشهر

إن الجاه والشهرة أمراض روحية بدأت في المجتمع الإسلامي في عصرنا اليوم، إن من طبائع النفس البشرية التطلع إلى حب الشهرة والجاه، ويجب أن يكون له عدد كثير من الحاضرين، أو المادحين له، حتى يكون رجلاً مشهوراً، كي تكون له مكانة في المجتمع، وهذه طبيعة تحتاج إلى توجيه وترشيد وتقويم، لأنَّ مقياس النجاح الدعوي صدق الإخلاص ومطابقة المتابعة لسنة رسول الله وليس مقياس نجاح الداعية إلى الله كثرة عدد الحاضرين له، أو المادحين له، أو المتابعين له، وقد نبه طنطاوي -رحمه الله- الدعاة عن التحاسد وعن تمنى ما فضل الله به بعض الدعاة على بعض من الجاه والشهرة وكثرة المتابعين له وذلك عند قوله تعالى: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً)⁽¹⁵⁾

فقال في تفسيره: "والتمني المنهي عنه هنا: هو الذي يتضمن معنى الطمع فيما في يد الغير، والحسد له على ما أعطاه الله من مال أو جاه أو غير ذلك مما يجري فيه التنافس بين الناس وذلك لأن التمني بهذه الصورة يؤدي إلى شقاء النفس، وفساد الخلق والدين، ولأنه أشبه ما يكون بالاعتراض على قسمة الخالق العليم الخبير بأحوال خلقه وبشئون عبادته، ولا يدخل في التمني المنهي عنه ما يسميه العلماء بالغبطة، وهي أن يتمنى الرجل أن يكون له مثل ما عند غيره من خير دون أن ينقص شيء مما عند ذلك الغير"⁽¹⁶⁾. ويقول صاحب الكشف "الغايط: هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه. والحاسد: هو الذي يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه"⁽¹⁷⁾ ويقول سعيد بن علي بن وهب القحطاني "فينبغي للداعية أن لا يرغب في الجاه ولا ينافس الأُمَراءَ، ولا يحب العلو في الأرض"⁽¹⁸⁾. ويقول عبد الكريم زيدان "إنَّ على المحتسب أن يقصد باحتسابه وجه الله تعالى وطلب رضاه، ولا يقصد بحسبته الرياء والسمعة والجاه والمنزلة عند الناس، والواقع أنَّ خلوص النية مما يلزم المسلم في جميع أعماله، فإنَّ الله تعالى لا يقبل من العمل إلَّا ما كان خالصاً لوجه الكريم"⁽¹⁹⁾.

ومما يستخلص من دروس وفقه دعوي من كلام الطنطاوي ما يلي:

فالحاصل الواجب على الدعاة أن يجتنب عن الحسد والحب بالجاه، لأن من أسباب فشل الدعوة الحسد، وحب الرئاسة والشهرة والجاه بين الدعاة، ولذلك ينبغي للدعاة أن يبتعد نفسه عن هذه العادة القبيحة ويتحلى من إخلاص النية في الدعوة إلى الله.

3- فتنه المال تُكثِّرُ مسؤولية الدعاة وتجعل له الصعوبة في ميدان الدعوة

أن الناس يحتاج بالحياة المادية، لأنهم بشر، ولهم مطالب في الحياة، يحتاج إلى طعام وكساء ومسكن وفي كثير من الأحوال يكون عندهم عائلة وأسرة تحتاج إلى متطلبات الحياة المادية، وأن من الأقوام الصالحين تكون الدنيا والأموال في أيديهم، وليست في قلوبهم بل إن قلوبهم قد شغلت بالآخرة والعمل

الصالح لها، لا مانع من أن يكون المسلم الصالح غنياً أو له مكانة بالدنيا، بل إن هذا الأمر جيد، بحيث يستطيع بماله خدمة الإسلام والمسلمين، لكن لا شك أن للمال فتنة من الفتن العظيمة التي وقع فيها المسلمون في كل زمان، وإن لفتنة المال أخطاراً كثيرة ومتنوعة، منها أنها توقع الإنسان في محاذير مختلفة، ومن هذه الأخطار على سبيل المثال: أكل أموال الناس بالباطل.

إن فتنة المال فتنة قديمة، ولكنها في هذا العصر أشد، وذلك أن الدنيا بسطت على الناس، كثرت وسائل المكاسب، وتنوعت طرق الحيل والخداع، إضافة إلى اتساع الأسواق وتنوعها، وكثرت المصارف وتعددها. فصارت هذه المصارف والبنوك تتسابق في جلب الأموال بطرق مختلفة، فهذه الصورة المسابقة في كسب الأموال تُكثّر مسؤولية الدعاة لإصلاح المجتمع والأمة الإسلامية من فتنة المال، فالواجب على الدعاة أن ترشدهم من خطر فتنة المال بأن يكسب المال من وجوهه الحلال، وإنفاقه في وجوهه المشروعة، فقد أشار الطنطاوي -رحمه الله- إلى هذا عند قوله تعالى: (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (20)

فقال في تفسيره: "أى: واعلموا- أيها المؤمنون- أنما أموالكم وأولادكم فتنة، أى امتحان واختبار لكم من الله- تعالى- ليتبين قوى الإيمان من ضعيفه.

أما قوى الإيمان فلا يشغله ماله وولده عن طاعة الله، وأما ضعيف الإيمان فيشغله ذلك عن طاعة الله، ويجعله يعيش حياته عبداً لأمواله، ومطيعاً لمطالب أولاده حتى ولو كانت هذه الطاعة متنافية مع تعاليم دينه وآدابه، الفتنة هي الاختبار والامتحان بما يشق على النفس فعله أو تركه، أو قبوله أو إنكاره.

وأموال الإنسان عليها مدار حياته، وتحصيل رغائبه وشهواته، ودفع كثير من المكارِه عنه، فهو يتكلف في طلبها المشاق، ويركب الصعاب، ويكلفه الشرع فيها التزام الحلال واجتناب الحرام، ويرغبه في القصد والاعتدال في إنفاقها، فالواجب على المؤمن اتقاء خطر الفتنة الأولى يكسب المال من وجوهه الحلال، وإنفاقه في وجوهه المشروعة، واتقاء خطر الفتنة الثانية باتباع ما أوجبه الله على الآباء من حسن تربية الأولاد على الدين والفضائل، وتجنبهم أسباب المعاصي والردائل.

أى: واعلموا أن الله عنده أجر عظيم لمن أثر طاعته ورضاه على جمع المال وحب الأولاد، فكونوا- أيها المؤمنون- من حزب المؤثرين لحب الله على حب الأموال والأولاد لتنالوا السعادة في الدنيا والآخرة. (21) وقاله: "صاحب المنار" (22).

4- الانحراف عن أسلوب السليم في الدعوة إلى الله

دين الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله - عز وجل - للناس، وقد بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم إلى البشرية عامة، والأمة شريكة لرسولها صلى الله عليه وسلم في وظيفة الدعوة إلى الله، ومعنى ذلك أن الله تبارك وتعالى أكرم هذه الأمة وشرفها أن أشركها مع رسوله صلى الله عليه وسلم في وظيفة الدعوة إلى الله، بعد نبي محمد صلى الله عليه وسلم، فقد وُكِّلت الدعوة إلى العلماء والدعاة خاصة وعلى جميع الأمة عامة، ليُعلموا الناس ما جهلوا، ويذكرونها ما نسوا، ويهدونهم صراط الله المستقيم، فلا بد للدعوة أن تكون وفق أسلوب الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، ويجب على الداعية إلى الله تعالى أن يتحلى بالمنهج السليم، الذي قامت عليه دعوة السلف الصالح - رحمهم الله - وفق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأشار طنطاوي -رحمه الله- إلى هذا عند قوله تعالى: (وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ

إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ، وَيَأْقُومُ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ⁽²³⁾

فقال في تفسيره: "ففي هذه القصة نجد شعبيا- عليه السلام- يبدأ دعوته بأمر قومه بعبادة الله- تعالى-، ثم ينهاهم عن أبرز الرذائل التي كانت منتشرة وهي نقص المكيال والميزان، ثم يبين لهم الأسباب التي حملته على ذلك: إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ، ثم ينهاهم نهيا عاما عن الإفساد في الأرض وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ.

ثم يرشدهم إلى أن الرزق الحلال مع الإيمان والاستقامة، خير لهم من التشبع بزينة الحياة الدنيا بدون تمييز بين ما هو صالح وما هو طالح: وبقيّة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين ثم يذكرهم بأنه لا يأمرهم إلا بما يأمر به نفسه، ولا ينهاهم إلا عما ينهاهم عنه وأنه ليس ممن يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنهَاجُ عَنْهُ، إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ .

ثم يذكرهم بمصارع السابقين، ويحذرهم من أن يسلكوا مسلكهم، لأنهم لو فعلوا ذلك لهلكوا كما هلك الذين من قبلهم: وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ.. ثم يفتح لهم باب الأمل في عفو الله عنهم متى استغفروه وتابوا إليه: وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ.

هكذا نجد شعبيا- عليه السلام- وهو خطيب الأنبياء كما وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم يرشد قومه إلى ما يصلحهم ويسعدهم بأسلوب حكيم، جامع لكل ألوان التأثير، والتوجيه السديد ، وليت الدعاة إلى الله في كل زمان ومكان يتعلمون من قصة شعيب- عليه السلام- مع قومه أسلوب الدعوة إلى الله- تعالى⁽²⁴⁾ .

والمقصود بهذه الآية التدرج في أسلوب الدعوة في المأمورات حيث بدأ من التوحيد، ثم ينهاهم عن الرذائل كانت منتشرة عندهم ، ثم يرشدهم إلى الرزق الحلال مع الترهيب ، والترهيب، والعظات التي تقنع العقل والعاطفة ،هناك من كلام طنطاوي -رحمه الله- يبرز أن الداعية له أن يستخدم في دعوته أسلوب التدرج حسب رعاية المدعويين .

5-الدعاة والدعوة والاتصافهم بالاتهامات الباطلة

إن المتأمل في دعوة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ولحال المسلمين الأوائل يجد كثير من الصعوبات الدعوية من قبل المشركين وأشراف قريش ،منها الإتيان بالاثبات الباطلة ،والشبهات الكاذبة وكذلك الغرب في هذا العصر يصفون الإسلام بعدم التعايش والعنف والشدة والجمود الفكري ، وغيره ذلك من الصفات السلبية مع أن الإسلام بعيد عن هذه الصفات القبيحة السلبية ، وأن الإسلام يتعايش ولا يتصادم ، وأنه دين يدعو إلى التفكير ، والتعليم ،والثقافة ،والرحمة ،والتاريخ مليء على عنف الإسلام والتعايش سمة مميزة للإسلام ، وقد بين طنطاوي -رحمه الله- هذا عند قوله تعالى : (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ)⁽²⁵⁾

فقال في تفسيره : " ثم حكى- سبحانه- سوء أدب هؤلاء الكافرين مع رسولهم صلى الله عليه وسلم فقال- تعالى- وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ. لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ والقائلون هم بعض مشركي قريش ، والمراد بالذكر: القرآن الكريم. قال- تعالى- وهذا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ .⁽²⁶⁾

و «مجنون» : اسم مفعول من الجنون، وهو فساد العقل ، والمعنى: وقال الكافرون لرسولهم صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستهزاء والتهمك: «يا أيها» المدعى بأن الوحي ينزل عليك بهذا القرآن الذي تتلوه

علينا، «إنك لمجنون» بسبب هذه الدعوى التي تدعيها. وبسبب طلبك منا اتباعك وتركنا ما وجدنا عليه آباءنا. فأنت ترى أن الآية الكريمة قد حكمت ألوانا من سوء أدبهم، منها: مخاطبتهم له صلى الله عليه وسلم بهذا الأسلوب الدال على التهكم والاستخفاف، حيث قالوا: «يا أيها الذي نزل عليه الذكر» ، مع أنهم لا يقرون بنزول شيء عليه ، ووصفهم له بالمجنون، وهو صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا، وأفضلهم فكرا⁽²⁷⁾.

ويقول الدكتور الشيخ عبد الكريم زيدان "يحرص الملأ" وأتباعهم على إبعاد الناس عن الدعاة إلى الله تعالى بالطعن في أشخاصهم وأمانتهم وعقولهم، وهذا ما فعله أسلافهم مع رسل الله تعالى، فقد اتهموهم بالسحر والجنون والضلال⁽²⁸⁾.

وأشار طنطاوي إليه في مقام آخر عند قوله تعالى : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ)⁽²⁹⁾

فقال في تفسيره : "أى: قل لأهل الكتاب من اليهود والنصارى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أى: هلموا نجتمع عليها وهى الكلمة التى اتفق عليها الأنبياء والرسل، ولم يخالفها إلا المعاندون والضالون، ليست مختصة بأحدنا سوا الآخر، بل مشتركة بيننا وبينكم، وهذا من العدل فى الكلام والإنصاف فى الجدل، ثم فسرها بقوله ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا، فنفرد الله بالعبادة ونخصه بالحب والخوف والرجاء ولا نشرك به نبيا ولا ملكا ولا وليا ولا صنما ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله بل تكون الطاعة كلها لله ولرسله، فلا نطيع المخلوقين فى معصية الخالق، لأن ذلك جعل للمخلوقين فى منزلة الربوبية "⁽³⁰⁾

يبرز من الكلام طنطاوي -رحمه الله- أن الدين الإسلام دين المحبة والأمن، والسلامة ، يدعو إلى التفكير ، والتعليم ، والتعايش ، بعيد عن العنف والشدة .

6- الكذب من قبل أهل الملأ أى الإشراف

ويقول الرازي : "يُسْتَعْمَلُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ كَلِمَةً "الملأ" فى قصصه عن الرسل الكرام وما جرى لهم مع أقوامهم، "الملأ" هم أشرف القوم وقادتهم ورؤساءهم وساداتهم⁽³¹⁾ ويقول عبد الكريم زيدان " والملأ يحبون الرياسة والجاه والتسلط على رقاب العباد، ولذلك فهم يعارضون كل دعوة تسليهم مكاتبتهم بين الناس وتجعلهم تابعين كبقية الناس، وهم يتصورون أن قبولهم الدعوة إلى الله يسليهم جاههم وسلطانهم، ولذلك يقاومونها ويعادونها ويأتون بالأباطيل لتبرير عداوتهم"⁽³²⁾.

ويظهر من كلام الدكتور عبد الكريم زيدان، أن مخاصمة الملأ للرسل الكرام وعداوتهم لهم ورفضهم دعوتهم، ومن أهم هذه الأسباب الكبر والجاه وحب الرياسة.

وقد بين طنطاوي هذا عند قوله تعالى : (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)⁽³³⁾.

فقال فى تفسيره: " قال الأشراف من قوم نوح له عند ما دعاهم إلى وحدانية الله: إنا لنراك بأمرنا لنا بعبادة الله وحده وترك آلهتنا فى انحراف بين عن طريق الحق والرشاد."⁽³⁴⁾

هناك يبرز للدعاة أن من صعوبات الدعوة إلى الله المخالفة من أهل الجاه والسيادة ولذلك ينبغى للداعية أن يجعل علاقة المحبة بينه وبين أهل الجاه والسيادة حتى يكون أقرب إلى قلبه ويسهل بعد ذلك الدعوة لهم وكشف أحوالهم وذلك مخالطة الداعية مع المدعو بزبائره وعوته إلى بيته فى مناسبتة والسفر والرحلة معه والحرص على تنويع مجالسه والحديث معه حتى يأتى قلبه أن لا تريد وراء دعوتك إلا خيرا له فى الدنيا والآخرة.

الخاتمة:

تتناول هذه الدراسة الصعوبات التي يواجهها الدعاة إلى الله في سياق دعوتهم، مستندةً إلى التفسير الوسيط للقرآن الكريم للدكتور محمد سيد طنطاوي. وقد تم تسليط الضوء على عدة صعوبات، منها: عدم تعاون الدعاة فيما بينهم، والانحراف نحو حب الجاه والشهرة، وتأثير الفتنة المالية، والانحراف عن المنهج السليم في الدعوة، والطعن والتهمة الباطلة من المجتمعات، بالإضافة إلى الصعوبات التي يواجهها الدعاة من قبل الملأ والسلطة. تؤكد الدراسة على أهمية التعاون والنية الصادقة، وتوجيه الدعوة بأسلوب حكيم ومتوازن بعيداً عن العنف، مع ضرورة تعميق العلاقات مع الأفراد المؤثرين في المجتمع لإيصال رسالة الدعوة بشكل فعال. في النهاية، تدعو الدراسة الدعاة إلى الالتزام بالأسس السليمة للدعوة وترك الصفات السلبية التي قد تعيق نجاح مهمتهم.

المصادر والمراجع

- ¹ : مقال في جريدة المصري اليوم، لأحمد البحيري ويوسف العموي، 2010، ، بعنوان : وفات الدكتور محمد سيد طنطاوي -رحمه الله- م العدد 2097، الخميس 2010/3/11، ص12.
- ² :أحمد البحيري ويوسف العموي، 2010، مقال في جريدة المصري اليوم ، بعنوان : وفات الدكتور محمد سيد طنطاوي -رحمه الله- م العدد 2097، الخميس 2010/3/11، ص12.
- ³ : المصدر السابق
- ⁴ :المصدر السابق
- ⁵ :التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، لمحمد سيد طنطاوي ، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة ، الطبعة: الأولى ، ج، 1، ص:10، س
- ⁶ : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، محمد سيد طنطاوي ، 15، ص:551.
- ⁷ : مقال في جريدة الأهرام ، عمرو جمال، 2010، العدد 45020 (الخميس 2010/3/11، ص: 5. وأيمن همزة، مقال في جريدة اليوم المصري 2010، العدد 2097، (الخميس 2010/3/11، ص:12.
- ⁸ : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، لمحمد سيد طنطاوي ، ج، 15، ص:551.
- ⁹ : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، لمحمد سيد طنطاوي ، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة ، الطبعة: الأولى ، 1997، ج، 1، ص ، 10.
- ¹⁰ : سورة الحجر الآية : 5.
- ¹¹ :معجم مقاييس اللغة ،أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفي: 395هـ) ، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ج، 3، ص: 286.
- ¹² : سورة المائدة الآية : 2.
- ¹³ : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ،لمحمد سيد طنطاوي ج ، 4، ص:32.
- ¹⁴ : تعاون الدعاة وأثره في المجتمع ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفي: 1421هـ)، ج 1، ص: 14.
- ¹⁵ : سورة النساء الآية : 32.
- ¹⁶ : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ،لمحمد سيد طنطاوي ج ، 3، ص: 131.

- ¹⁷ : الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، ج 3، ص: 432.
- ¹⁸ :فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري ، سعيد بن علي بن وهب القحطاني، رسالة دكتوراه، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الطبعة: الأولى، 1421هـ، ج 1، ص: 472.
- ¹⁹ : أصول الدعوة ، لعبد الكريم زيدان ، ج 1، ص: 184.
- ²⁰ : سورة الأنفال الآية : 28.
- ²¹ : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ،محمد سيد طنطاوي ج، 6، ص: 82..
- ²² : تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين ، ج 9، ص: 536.
- ²³ : سورة اليهود الآية : 84،85.
- ²⁴ : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ،محمد سيد طنطاوي ج، 7، ص: 266.
- ²⁵ : سورة الحجر الآية : 5.
- ²⁶ : سورة الحجر الآية : 7، وسورة الأنبياء الآية:50.
- ²⁷ : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ،محمد سيد طنطاوي ج، 8، ص: 17.
- ²⁸ : أصول الدعوة ، الدكتور لعبد الكريم زيدان ، ج 1، ص: 428.
- ²⁹ : سورة آل عمران الآية : 64.
- ³⁰ : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، محمد سيد طنطاوي ج، 2، ص: 133.
- ³¹ : مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، ج 17، ص: 337. أنظر: روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفي: 1127هـ) ، دار الفكر – بيروت، ج 4، ص: 266.
- ³² : أصول الدعوة ، لعبد الكريم زيدان ، ج، 1، ص: 382،385.
- ³³ : سورة الأعراف الآية: 60.
- ³⁴ : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ،محمد سيد طنطاوي ج، 5، ص: 297.